سلسلة
قصص في الأخلاق
٧
قصص
في التوكل
أحمد محمد حسن
محمد محمود القاضي
دار الفوتاني
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

سلسلة قصص الأخلاق

٧

قصص في التَّوَكُّل

إعداد
أحمد محمد حسين
محمد محمود القاضي

قصصٌ في التَّوكُّلِ

أخْلاقُ أهْلِ الْجَنَّةِ

ذَاتَ يومٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لصَحَابَته: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ ومَعَهُ الرَّجُلُ، والنَّبِيُّ ومَعَهُ الرَّجُلان، والنَّبِيُّ ومَعَهُ الرَّهْطُ (أقَلُّ مِنْ عَشَرَة)، والنَّبِيُّ لَيس مَعَهُ أحَدٌ، ورَأيتُ سَوَاداً كَثيراً (عَدداً كَبيراً) سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ. فَرأيتُ سَوَاداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ لِي: انْظُرْ هكَذَا وهكَذَا، فَرَأيتُ سَوَاداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ.

فَقِيلَ لِي: هَؤلاء أُمَّتُكَ، ومَعَهُمْ سَبْعُونَ ألْفاً يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ».

ودَخَلَ ﷺ بَيتَهُ دُونَ أن يُبَيِّنَ لَهُمْ مَنْ هَؤلاء، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: نَحنُ الذِينَ آمنَّا بِاللَّهِ، واتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أو أولادُنَا الذِينَ وُلِدُوا فِي الإسلامِ.

فَلَمَّا عَلِمَ ﷺ بِمَا قَالُوا خَرَجَ، وقَالَ لَهُمْ: «هُمُ الذِّينَ لا يَرْقُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ (أيْ: بِرُقْيَةِ الجَاهِلِيَّةِ)، ولا يَتَطَيَّرُوْنَ (لا يَتَشَاءَمُوْنَ)، وعلى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ».

* * * * *

الْمُتَخَاصِمَانِ

ذَاتَ يومٍ، جاءَ رَجُلانِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ليحكُمَ بينَهُمَا، فَقَضَى لأحَدِهمَا، فقَالَ الآخرُ وهُوَ مُنْصرِفٌ: حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ.

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «رُدُّوا عليَّ الرَّجُلَ». فلَمَّا رجَعَ الرَّجُلُ سَألَهُ النَّبيُّ ﷺ: «مَا قُلْتَ؟». فقَالَ الرَّجُلُ: قُلْتُ: حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ.

فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يَلُومُ على العَجْزِ، ولَكِنْ عليكَ بالكَيْسِ، فَإذَا غَلَبَكَ أمْرٌ فقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ». أيْ: إذَا كُنْتَ صَاحِبَ حَقٍّ، فَلا تَكُنْ عَاجِزًا عَنْ إثْبَاتِ حَقِّكَ؛ لأنَّ هَذَا العَجْزَ لا يَرْضَى عَنْهُ اللَّهُ، ولَكِنْ عليكَ أنْ تَفْعَلَ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ أسْبَابٍ لتَحْصُلَ على حَقِّكَ، أمَّا إذَا غَلَبَكَ أمْرٌ بعدَ ذَلِكَ، فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ.

أهْلُ اليَمَنِ

كَانَ أهْلُ اليَمَنِ إذَا خرَجُوا للحجِّ لا يتزَوَّدُونَ بِالطَّعَامِ والشَّرَابِ، ومَا يحتَاجُونَ إليهِ فِي سَفَرِهِمْ لِلحَجِّ، ويقُولُونَ: نَحْنُ المتَوكِّلُونَ.

فَكَانُوا إذَا وصَلُوا مكَّةَ سَألُوا النَّاسَ الطَّعَامَ والشَّرَابَ، فَأنْزَلَ اللَّهُ ـ تعالى ـ قولَهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فَقَدْ أمَرَهُمُ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أنْ يأخُذُوا معَهُمْ مَا يحتَاجُونَ إليهِ مِنْ طَعَامٍ وشرَابٍ، وأخبَرَهُمْ أنَّ هذَا لا يتعَارَضُ مَعَ حَقِيقَةِ التَّوكُّلِ، فَالتَّوكُّلُ الحَقِيقِي أنْ يأخُذَ الإنْسَانُ بِالأسْبَابِ، ثُمَّ يتوكَّلَ بَعْدَ ذَلكَ على اللَّهِ.

المُتَوَكِّلُ على زَادِ النَّاسِ

جَلَسَ الإمَامُ أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ـ رَحِمَـهُ اللَّـهُ ـ ذَاتَ يـومٍ لإلْقَـاءِ دَرْسِهِ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ.

وبَعْدَ انْتِهَاءِ الدَّرْسِ، جَاءَهُ رَجُلٌ وقَالَ: يا إمَامُ، إنِّي أُرِيدُ الحَجَّ على التَّوكُّلِ (أي: بِغَيرِ طَعَامٍ وشَرَابٍ»، فَمَا رَأْيُكَ فِي ذَلِكَ؟

فَقَالَ لَهُ الإمَامُ أحْمَدُ: فَاخْرُجْ فِي غَيرِ القَافِلَةِ الذَّاهِبَةِ إلى الحَجِّ.

قَالَ الرَّجُلُ: لا أسْتَطِيعُ الخُرُوجَ وَحْدِي.

فَقَالَ الإمَامُ أحْمَدُ: إذاً على زَادِ النَّـاسِ تَوكَّلْـتَ، ولَـمْ تَتوكَّـلْ على اللَّهِ.

الثِّقَةُ باللّهِ

جَاءَ أحَدُ النَّاسِ إلى الفُضَيلِ بْنِ عِيَاضٍ، وقَالَ لَهُ: لَو أنَّ رَجُلاً قَعَدَ فِي بَيْتِهِ وزَعَمَ أنَّهُ يَثِقُ فِي اللَّهِ، فَيأتِيْهِ رِزْقُهُ، فَمَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

قَالَ: إذَا وَثِقَ بِاللَّهِ حتَّى يَعْلَمَ أنَّهُ وَثِقَ بِهِ، لَمْ يمْنَعْهُ شَيئاً أرَادَهُ، لَكِـنْ لَـمْ يفْعَـلْ ذَلِـكَ الأنبيـاءُ، ولا غَيرُهُـمْ، وقَـالَ: كَـانَ الأنْبِيـاءُ يُؤَجِّرُونَ أنْفُسَهُمْ (أي لأدَاءِ الأعْمَالِ مِنْ أجْلِ الكَسْـبِ المَشْـرُوعِ)، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤجِّرُ نَفْسَهُ وأبُو بكْرٍ وعُمَرُ، ولَمْ يقُولُوا نَقْعُـدُ حـتى يَرْزُقَنَا اللَّهُ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ ، وقَـالَ اللَّـهُ ــ عَـزَّ وَجَـلَّ ـ : ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:]، ولابُدَّ مِنْ طَلَبِ المَعِيشَةِ.

أدَوَاتُ السَّفَرِ

كَانَ العَابِدُ الزَاهِدُ إبْرَاهِيمُ الخَوَّاصُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ إذَا أرَادَ السَّفَرَ يَأخُذُ مَعَهُ إبْرَةً وخُيوطًا ومِقَصًّا وإنَاءً بِهِ مَاءٌ.

فَسَألَهُ أحَدُ الصَّحَابَةِ: لِمَ تَحْمِلُ هَذِهِ الأشْياءَ يا أبَا إسْحَاقَ وأنْتَ مِنَ الزُّهَّادِ؟

فَقَالَ إبْرَاهِيمُ: هَذِهِ الأشْياءُ لا تُنْقِصُ التَّوكُّلَ؛ لأنَّ للَّهِ تَعَالَى علينا فَرَائِضُ، والفَقِيرُ لا يكُونُ مَعَه إلا ثَوْبٌ واحِدٌ، فَرُبَّمَا يتَمَزَّقُ ثَوبُهُ، فَإنْ لَمْ تكُنْ مَعهُ إبْرَةٌ وخُيوطٌ، تَظْهَرُ عَوْرَتُهُ؛ فَتَفْسَدُ صَلاتُهُ، وإذَا لَمْ يكُنْ مَعَهُ إنَاءٌ بِهِ مَاءٌ لَمْ يستَطِعْ أنْ يتَطَهَّرَ لِصَلاتِه، وإذَا لَمْ يكُنْ مَعَهُ مِقْرَاضٌ (مِقَصٌّ) لَمْ يستَطِعْ أنْ يَقُصَّ شَارِبَهُ كَمَا أمَرَنَا الرَّسُولُ ﷺ.

* * * * *

النَّجَاةُ

قَامَ إبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بِتَحْطِيمِ أَصْنَامَ قَوْمِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُهُ بِذَلِكَ أَحْضَرُوهُ وأَمَرُوا بإحْرَاقِهِ.

فَأَخَذَ أهْلُ المَدِينَةِ يجْمَعُونَ الحَطَبَ لإشْعَالِ النَّارِ الَّتِي سَتَأْكُلُ جَسَدَ إبْرَاهِيمَ عليهِ السَّلامُ.

ولَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنْ جَمْعِ الحَطَبِ، وأُشْعِلَتْ النِّيْرَانُ، وجَاؤُوا بِإبْرَاهِيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ قَالَ: «حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيْلُ».

فَجَاءَ جِبْرِيلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ : «أَمَّا إلِيكَ فَلاَ، وأَمَّا إلى اللَّهِ فَنَعَمْ».

فَأَمَرَ اللَّهُ النَّارَ أَنْ تَكُونَ بَرْداً وسَلاَماً على إبْرَاهِيمَ ـ عليهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

ونَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِفَضْلِ تَوكُّلِهِ على اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

* * * * *

التَّوَكُّلُ الصَّحِيحُ

ذَاتَ يَومٍ، جَاءَ رَجُلٌ إلى الإمَامِ أحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ أو فِي الْمَسْجِدِ، وقَالَ: لا أَعْمَلُ شَيَئًا حتى يأتِيَنِي رِزْقِي.

فَقَالَ الإمَامُ أحْمَدُ: هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ العِلْمَ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وَقَال: «لَو تَوكَّلْتُمْ على اللَّهِ حَقَّ تَوكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيرَ؛ تَغْدُوْ خِمَاصاً وتَرُوْحُ بِطَاناً»، فَذَكَرَ أَنَّهَا تَغْدُوْ وتَرُوْحُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وكَانَ الصَّحَابَةُ يتَّجِرُوْنَ ويعْمَلُونَ فِي نَخِيلِهِمْ.

وهكَذَا نَتَعَلَّمُ أَنَّ الْمُسْلِمَ يجِبُ أَنْ يأخُذَ بِالأسْبَابِ أَوَّلاً، ثُمَّ يتَوكَّلُ على اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

* * * * *

كَذَبَ الْمُنَجِّمُونَ

عِنْدَمَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عليٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ الخُرُوجَ لِقِتَالِ الخَوَارِجِ، نَصَحَهُ أَحَدُ الْمُنَجِّمينَ ـ وكَانَ اسْمُهُ (مُسَافِرُ بْنُ عَوْفٍ) ـ أَلاَّ يَسِيْرَ بِالجَيْشِ فِي هَذَا الوَقْتِ، وَحَدَّدَ لَهُ وَقْتاً آخرَ لِيَتحَرَّكَ فيهِ.

فَقَالَ لَهُ عليٌّ: وَلِمَ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ إِنْ سَارَ فِي هَـذَا الْوَقْتِ؛ أَصَابَهُ وأَصْحَابَهُ ضَرَرٌ شَدِيدٌ، أَمَّا إِنْ سَارَ فِـي الْمَوْعِـدِ الـذِي حَدَّدَهُ لَهُ فَسَوفَ يَنْتَصِرُ.

فَقَالَ عليٌّ: مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مُنَجِّمٌ، ولا لَنَا مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، ولا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، ولا إِلـهَ غَيْرُكَ. ووَجَّهَ تَحْذِيرًا شَدِيداً إِلى مُسَافِرٍ بِأَلاَّ يعْمَلَ بالتَّنْجِيْمِ.

وسَـارَ علـيٌّ بِـالجَيْشِ، وقَاتَـلَ الخَـوَارِجَ فِـي مَوْقِعَـةِ «النَّهْرَوَانِ»، فَهَزَمَهُمْ، وقَالَ: لَوْ سِرْنَا فِي الوَقْتِ الذِي أَمَرَنَـا بِهُ مُسَافِرٌ فَانْتَصَرْنَا، لَقَالَ أَحَدُكُمْ: سَارَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْمُنَجِّمُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ تَوكَّلُوا على اللَّهِ وثِقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يَكْفِيْ مَا سِوَاهُ.

كَلِمَةُ الْمُؤمِنِينَ

بَعْدَ انْتِهَاءِ غَزْوَةِ أُحُدٍ، رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى الْمَدِينَة، فَلَمَّا سَمِعَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عليهِمْ - نِدَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا جَمِيعاً رَغْمَ كَثْرَةِ جِرَاحِهِمْ وإِصَابَاتِهِمْ، وسَارُوا حتى أَقَامُوا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ. وكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ تَحَرَّكُوا أيضًا بِقِيادَةِ أَبِي سُفْيانَ؛ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وأَقَامُوا بِمَكَانٍ يُسَمَّى الرَّوْحَاءُ، فَمَرَّ بِهِمْ قَومٌ ذَاهِبُونَ إلى المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو سُفْيانَ: بَلِّغُوْا مُحَمَّدًا أَنَّنَا جَمَعْنَا لَهُ جَيْشًا كَبِيرًا لِنَقضِيَ عليهِ وأَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ الكَلامُ إلى الرَّسُولِ ﷺ والصَّحَابةِ؛ لَمْ يهْتَمُّوا بِذَلكَ، ولَمْ يخَافُوا عَدُوَّهُمْ، بَلْ تَوكَّلُوا على اللَّهِ واسْتَعَانُوا بِهِ، وقَالُوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوكِيلُ». فَكَفَاهُمُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُمْ، ورَدَّ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّهِمْ.

* * * * *

يَوْمُ الفَزَعِ

جَلَسَ النّبيُّ ﷺ ذَاتَ يومٍ بَينَ أصْحَابِهِ يذَكِّرُهُمْ بِاللَّـهِ، ويعَلِّمُهُمْ مَا ينْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ ودُنْياهِمْ.

فَلاحَظَ الصَّحَابَةُ علـى رَسُـول اللَّـه ﷺ حُزْنـاً وهَمَّـاً جَعَلاَهُ يُعْرِضُ عَنْ مَتَاعِ الدُّنْيا، فَسَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِه.

فَقَالَ ﷺ: «كَيفَ أَنْعَمُ وصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَـرْنَ واسْتَمَعَ الإِذْنَ، مَتَى يؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَينْفُخُ».

فَحَزِنَ الصَّحَابَةُ، وأشْفَقُوا مِنْ هَوْلِ ذَلكَ اليـومِ. فقَـالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّـهُ ونِعْـمَ الوكِيـلُ، علـى رَبِّنَا تَوكَّلْنَا».

فَالْمُسْلِمُ يجِبُ عليه أَنْ يأخُذَ بِأسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ يتْرُكُ أمْرَهُ فِي هَذَا اليَـوْمِ للَّـه، وهُـوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ سَوفَ يُنْجِي الْمُؤمِنِيْنَ الطَّائِعِيْنَ مِنَ العَذَابِ.

* * * * *

غَارُ ثَوْرٍ

خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ وصَاحِبُهُ أَبُو بكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مُهَاجِرَيْنِ مَنْ مكَّةَ إلى المَدِينَةِ، وفِي الطَّرِيقِ دَخَلا غَارَ ثَوْرٍ؛ لِيخْتَفِيا عَنْ أَعْيُنِ مُشْرِكِيْ مكَّةَ.

وكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْ مكَّةَ يبْحَثُونَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وصَاحِبِهِ، فَلَمَّا وصَلُوا إلى غَارِ ثَوْرٍ، نَظَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَرَأى المُشْرِكِينَ يقِفُونَ على بَابِ الغَارِ، فَخَافَ على الرَّسُولِ ﷺ وقَالَ لَهُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأبْصَرَنَا.

فَطَمْأَنَهُ الرَّسُولُ ﷺ وقَالَ لَهُ:«ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اَللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟».

وبِالْفِعْلِ حَمَى اللَّهُ الرَّسُولَ ﷺ وَصَاحِبَهُ، وابْتَعَدَ كُفَّارُ مكَّةَ عَنِ الغَارِ بَعْدَ أَنِ اسْتَبْعَدُوا أَنْ يكُونَ الرَّسُولُ ﷺ وصَاحِبُهُ قَدْ دَخَلا هَذَا الْمكَانَ.

* * * * *

أَمْـرُ اللهِ

أَخَذَ إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هَاجَرَ وابْنَهَا الرَّضِيعَ إسْمَاعِيلَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وسَارَ بِهِمَا فِي الصَّحْرَاءِ حتى وَصَلُوا بَيتَ اللَّهِ الحَرَامَ، فَوَضَعَهُمَا فِي هَذَا المَكَانِ، ولَيس مَعَهُمَا إلا قَلِيلٌ مِنَ التَّمْرِ، وإنَاءٌ بِهِ مَاءٌ، ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَهَمَّ بالانْصِرَافِ.

فَأَسْرَعَتْ هَاجَرُ ورَاءَهُ، وهِي تَقُولُ: يا إبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا؟! وظَلَّتْ تَسْأَلَهُ كَيفَ يَتْرُكُهَا فِي هَذَا الوَادِي الذِي لَيس بِهِ إِنْسٌ ولَيسَ فِيهِ مَاءٌ ولا طَعَامٌ، وإبْرَاهِيمُ لا يلْتَفِتُ إليهَا. فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟. فَقَالَ إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ :«نَعَمْ».

فَلَمَّا عَلِمَتْ هَاجَرُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، أَدْرَكَتْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهَا، فَقَالَتْ: إذًا لاَ يُضَيِّعُنَا.

وهكَذَا تَوَكَّلَ إبْرَاهِيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وزَوجَتُهُ على رَبِّهِمَا، وفَوَّضَا الأمْرَ إليهِ.

* * * * *

التَّوَكُّلُ الْحَقِيقِيُّ

لَقِيَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ نَاسًا مِنْ أَهْلِ اليمَنِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟

قَالُوا: نَحْنُ المتَوَكِّلُونَ.

قَالَ: بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَوَاكِلُوْنَ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الذِي يُلْقِي حَبَّةً فِي الأَرْضِ، ويتَوَكَّلُ على اللَّهِ تَعَالى.

فالتَّوَكُّلُ الحَقِيقِيُّ أَنْ يأْخُذَ العَبْدُ بأَسْبَابِ النَّجَاحِ فِي كُلِّ عَمَلٍ، ويتْرُكُ النَّتَائجَ على اللَّهِ، كَالزَّارِعِ الذِي يَضَعُ حَبَّهُ فِي الأَرْضِ، ويتَعهَّدُهُ بِالرِّعَايةِ والسِّقَايةِ، ثُمَّ يتْرُكُ أَمْرَهُ للَّهِ، فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ الذِي يُنْبِتُ الزَّرْعَ، ويخْرِجُ الْحَبَّ.

* * * * *

الإِبْرَةُ وَالْمَاعِزَةُ

ذَاتَ مَرَّةٍ، خَرَجَت امْـرَأَةٌ مَـعَ جَـيشِ الْمُسْـلِمِينَ فِـي إحْدَى السَّرَايا، وتَركَتْ فِي بَيتِهَا بَعَضَ الأَغْنَامَ، وصِيْصِـيةً (الإبْرَةَ الَّتِي يُنْسَجُ بِهَا)، ولَمْ يكُنْ مَعَهَا فِي الْبَيتِ أَحَدٌ.

فَلَمَّا رَجَعَتِ المَرْأَةُ مِنَ الغَزْوِ؛ وَجَدَتْ أَنَّ مَـاعِزَةً مِـنَ الأَغْنَامِ قَدْ ضَاعَتْ، ولَـمْ تَجِـدْ إبرَتَهَـا الَّتِـي تَنْسِـجُ بِهَـا، فَقَالَتْ: يا رَبِّ إنَّكَ قَدْ ضَمِنْتَ لِمَنْ خَرَجَ فِـي سَـبِيلِكَ أنْ تَحْفَظَ عليهِ (أي: تَحْفَظَ لَـهُ حَاجَتَـهُ حـتى يرْجِـعَ)، وإنِّـي فَقَدْتُ عَنْزاً (مَاعِزَةً) مِـنْ غَنَمِـي وصِيصِـيَتِيْ، ثُـمَّ سَـأَلَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّهَا أَنْ يُعِيْدَ إِلَيها عَنْزَتَهَا وإبْرَتَهَا، وأَكْثَرَتْ مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ ـ تَعَالى ـ فِي هَذا الأَمْرِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَتِ المَرأَةُ وَجَدَتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالى ـ قَـدْ أَعَـادَ إليهَا عَنْزَتَهَا ومِثْلَهَا، وإبْرَتَهَا ومِثْلَهَـا، وذَلِـكَ جَـزَاءُ ثِقَتِهَـا بِاللَّهِ، وتَوكُّلِهَا عليهِ.

* * * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦